

عناداً يسطعون

سليمان العيسى*

إلى صديقي الشاعر المبدع "خ.ع"
على هامش نصه البديع: "فجرٌ... تُشرق شمسُهُ من حصنِ خُرْشنة"

كخيوطِ الشَّفَقِ الأولِ...
قبلَ الفجرِ...
فجراً... يَنْبُتُونَ.

مِنْ دِهالِيزِ العُصُورِ السُّودِ
في خَاصِرَةِ الأَرْضِ...
بِشَارَاتِ...
مَفَاتِيحِ ضِيَاءِ...
يَطْلَعُونَ.

كَنْتُ بَشَّرْتُ بِهِمْ
ما زِلْتُ أَحْمِيهِمْ بِأَهَاتِي وَجُرْحِي،
وَأُسْمِيهِمْ:

* شاعر وأديب من سوريا.

غَدِي الأَجْمَلَ والأَنْقَى،
وما زالوا ...

بهذا "الحلِّك الدامي"
شبابيك ضياءً يَطْلَعُونَ.

ويُحْلَمِي ... يَكْتُبُونَ
ويَجْرَحِي ... يَحْلُمُونَ
رُبَّمَا لم يَفْعَلُوا شَيْئاً
لهذي "الجثَّة" الملقاة بين الماءِ والماءِ
ولكن ... يَكْتُبُونَ
وبنبضي المتشظي بين أشداقِ "الأفاعي"
يَنْبُضُونَ ...
إنني ما زلتُ في أعماقهمَ أَحياً ...
وما زالوا بأعماقي
نباتاً عربياً ... يَطْلَعُونَ.

لم "أذع" موتهم يوماً، ولم أهلع،
وفي كل صباح يُقْتَلُونَ
أنا لن أبقى عكازي على الأرض،
ولن أسلمهم "للخنجر" المغروزِ
في صدري
ودعهم

في ثنايا حشرجاتي
يَوْمُضُونَ.
حلم حلو ... تحدى كل أشداقِ "الأفاعي"،
إنهم حلمي ...
ويوماً بعد يوم ...
يَكْبُرُونَ ...
لم يزالوا ... ملء أشعاري
وعكازي ...
عناداً يَسْطَعُونَ.

● دمشق، ٢٠٠٥